۱۶۵۰

مجله	حضارة الاسلام
تاریخ نشر	ربیع الثانی ۱۲۹۳
شماره	دوم سال چهاردهم
شماره مسلسل	
محل نشر	دمشق
زبان	عربی
نویسنده	عبدالقادر السبسبی المحامی
تعداد صفحات	۱۹ - ۲۱
موضوع	حول تفسیر سورة التین
سرفصلها	
کیفیت	
ملاحظات	

حول تفسير سورة التين

للاستاذ عبد القادر السبسبي المحامي

القرآن الكريم : كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

فيه آيات بينات واخبار صادقة وشرائع راقية وآداب عالية ، تأخذ الالباب ، وأساليب ليس من البشر ان يأتي بمثلها او يفكر في محاكاتها ، فهو آية الله الدائمة ، وحجته الخالدة (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ،) (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات ، فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا .) الخ ..

ان القرآن الكريم هو كلام الله تعالى العظيم لا يجوز تفسيره بالراي المجرد كما لا يجوز تاويل اللفظ بما يصرفه عن مدلوله الحقيقي.

على اني اريد ان الفت نظر القراء الكرام الى مسالة هامة وردت في تفسير العلامة الكبير الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (المسمى محاسن التاويل) المطبوع بتاريخ ١٣٢٢ هـ في جزء عم سورة التين . ولا شك انها وردت في هذا التفسير البديع اما عن غفلة من المؤلف او ادخلت عليه بدون علمه .

على اني قبل ان ابدي ملاحظاتي على ما ورد فاني انقل العبارة التي هي مدار النقد ليطلع عليها كل قارىء او مستمع ويصحح نسخته في ضوء بياننا هذا ان شاء .

جاء في التفسير المذكور ما نصه (واستظهر بعض المعاصرين ان قوله تعالى (والتين) يعني بها شجرة (بوذا) مؤسس الديانة البوذية التي تحرفت كثيرا عن اصلها الحقيقي لان تعاليم (بوذا) لم تكتب في زمنه ، وانما رويت كالاحاديث بالروايات الشفهية ، ثم كتبت بعد ذلك حينما ارتقى اتباعها .

ثم قال : والراجح عندنا ، بل المحقق اذا صح تفسيرنا لهذه الاية ، انه كان نبيا صادقا ويسمى (سكيتاموني) او (جوتاما) . وكان في اول امره يأوي الى شجرة تين عظيمة وتحتها نزل عليه الوحي وارسله الله رسولا فجاءه الشيطان

ليفتنه هناك . فلم ينجح معه .
ولهذه الشجرة شهرة كبيرة عند البوذيين وتسمى عندهم (التينة المقدسة) وبلغتهم (آجاياليا) .

قال : ففي هذه الآية « ذكر الله تعالى اعظم اديان البشر الاربعة الموحاة منه تعالى لهدايتهم ونفعهم في دينهم ودنياهم ، فالقسم فيها كالتمهيد لقوله بعده (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) الخ .. ، ثم قال ولا يزال اهل الاديان الاربعة هم اعظم امم الارض واكثرهم عددا وارفاهم . والترتيب في ذكر هذه الآية ، هو باعتبار درجة حجتها بالنسبة لاصولها الاولى . فبدا تعالى بالقسم بالبوذية لانها اقل درجة في الصحة ، واشد الاديان تحريفا عن اصلها ، كما يبدا الانسان بالقسم بالشيء الصغير ثم يرتقي للتاكيد الى ما هو اعلى . اي النصرانية وهي اقل من البوذية تحريفا . ثم اليهودية وهي اصح من النصرانية ، ثم الاسلامية وهي اصحها جميعا وابعدها عن التحريف والتبديل . بل ان اصولها الكتاب والسنة العملية المتواترة ، لم يقع فيهما تحريف مطلقا . ومن محاسن هذه الآية الشريفة غير ذلك ذكر ديني الفضل (البوذية والمسيحية) اولا ثم ديني العدل (اليهودية والاسلامية) ثانيا ، للاشارة الى الحكمة بتربية الفضل والمسامحة مع الناس اولا ، ثم تربية الشدة والعدل ثانيا ، وكذلك بدا الاسلام باللين والعفو ، ثم بالشدة والعقاب .

ثم يقول : ولا يخفى على الباحثين التشابه العظيم بين بوذا وعيسى ودينهما ، وكذلك التشابه بين موسى ومحمد ودينهما ، فلذا جمع الاولان مما ، والاخران كذلك . وقدم البوذية على المسيحية لقدم الاولى كما قدم الموسوية على المحمدية لهذا السبب بعينه ، ومن محاسن الآية ايضا الرمز والاشارة الى دين الرحمة بالفاكهة والثمر ، والى دين العدل بالجبل والبلدة الجبلية (مكة) وهي البلد الامين . ومن التناسب البديع بين الفاظ الآية ان التين والزيتون ينبتان كثيرا في اودية الجبال كما في جبل الزيتون بالشام وطور سيناء وهما مشهوران بهما .

فهذه الآية تسم باول مهابط الوحي واكرم اماكن التجلي الالهي على انبيائه الاربعة الذين بقيت شرائعهم للآن وارسلهم الله لهداية الناس الذين خلقهم في احسن تقويم . انتهى بحروفه والله اعلم .

بعد ان انتهيت من عرض هذا البحث المشبوه الملفق ، ابدأ ببيان ملاحظاتي عليه وهي :

١ ــ جدلا لو ان المؤلف المرحوم الشيخ جمال الدين صاحب التفسير بقي مستمرا على نهجه المستقيم بدون ان يتعرض في تفسيره الى بحث مشكوك فيه ، وغير متلائم او منسجم مع موضوع التفسير ، ولا يتعرض الى موضوع اشبه برواية او حكاية غير وارد فيه آية

كريمة ، او حديث شريف ، او قول لاحد الصحابة او المفسرين الكرام مع علمه ان القرآن الكريم كلام الله القديم وهو خال من الرموز والاشارات .

٢ ــ ان القول ان كلمة (التين) الواردة في القرآن الكريم ، يعني به شجرة (بوذا) . فهذا كلام مجرد عن الدليل ، فلا يبنى عليه حكم . كما ان تاويله غير موافق للمنطق ولا يتجاوب مع النص القرآني قطعا . اذ لا يعمل بالتاويل ما لم يكن موافقا للنص ، فالتاويل خلاف الاصل . ولا يصار اليه الا اذا قامت الادلة . للعدول عن الاصل . وليس هناشيء من ذلك ، فوجب حمل الكلام على ظاهره وحقيقته اذ الاصل في الكلام الحقيقة ولا يجوز صرفه الى المجاز الا بقرينة تصرفه عن اصله ، ولذلك كان هذا التاويل بعيدا عن الصواب ، خاصة وان الاستاذ المفسر جعل هذا التاويل كانه تفسير محقق ، لانه لم ينفه او يضعفه .

٣ ــ على ان صاحب هذا المقال يعتبر بوذا نبيا كالانبياء موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، ويزعم ان الله جعل اعظم اديان البشر اربعة ــ البوذية ــ واليهودية والنصرانية ــ والاسلام ، مستدلا من فحوى الآية الشريفة ــ على زعمه ــ لان الله سبحانه وتعالى جمع بين التين والزيتون وطور سيناء والبلد الامين وهي مكة . فضلا عن ان هذا الكلام لم يقم عليه ما يدل على

هذا التاويل الواهي فلا يعتد به اذ لا يجوز صرف الكلام عن حقيقته الا بدليل مبني على كلام مقبول ويقين معقول . فالدليل اذا طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال ، فما بالك اذا كان الكلام من اصله مبنيا على الخطاء .

٤ ــ والغريب في الامر ، ما جنح اليه صاحب المقال ، اذ اعتبر ان القرآن يشتمل على رموز فهو يرمز ويشير ــ على زعمه ــ الى دين الرحمة بالفاكهة والثمرة ، والى دين العدل بالجبل والبلدة الجبلية (مكة) وهي البلد الامين ، وكذا بجبل الزيتون بالشام وطور سيناء .

وقد سها المؤلف عن ان القرآن العظيم الذي هو كلام رب العالمين خال من الرموز والاشارات والشكوك . بل هو آيات منها المحكم ومنها المتشابه ، حيث قال تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات ، الى آخر الآية الواردة سابقا . وان النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام قد فسروا لنا القرآن العظيم واوضحوا لنا كل ما هو غامض علينا ، واوضح لنا الرسول بان القرآن العظيم لا يجوز تفسيره بالراي فقط . مايدفع كلام صاحب المقال ويجعله محل نظر .

هذا ما اردت بيانه تنبيها للاذهان وتبرئة من المسؤولية والله اعلم .